رؤى مستقبل أدب الطفل في الجمهورية الجديدة

د. سليمان جادو شعيب

كاتب، وباحث، وناقد أدبي

توطئة

أطفالنا هم غراس الحياة، وقطوف الأمل، وقرة عين الإنسان، وزهور الأمة، وبراعم الغد المشرق، وهم تذكار الصبا، ووديعة الله المقدسة، وهدية السماء، وهم رأس مالنا، وامتداد أعمارنا واستثمارنا الرابح، وثروتنا الحقيقية التي وهبنا الله تعالى إياها، وهم أيضًا من أهم النعم الربانية التي تستوجب منا جميعًا الحمد والشكر، فقد جعلهم الله عزَّ وجلّ زينة الحياة الدنيا. يقول الله عزَّ وجلّ: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف: ٤٦].

وفي الحديث الشريف، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم}. فالإسلام ينظر إلى الطفولة نظرة الأمل المرتقب الذي يرجى ويطلب ويؤمل فيه ويشتاق إليه، فإذا تحقق الرجاء كانت سعادة النفس وبهجة القلب وانشراح الصدر، ومن الحقائق القرآنية أن الذرية هبة من الله عزَّ وجل لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير﴾ [الشورى: ٤٩،٥٠].

وفي التراث العربي؛ نجد قول الشاعر حطان بن المعلى يقول:

وإنَّما أولادنا بيننا أكبا دُنا تمشي على الأرضِ

لوهبَّت الريحُ على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمضِ

تُعد الطفولة من أجمل مراحل الحياة وأعذبها؛ حيث يكون الطفل في منتهى البراءة والصفاء، والأطفال هم الضحكة البريئة والقلب الصافي؛ حيث لا أحقاد ولا تفكير ولا حساب إلا لليوم الذي يعيشه الطفل. الطفولة هي ربيع الحياة وبراعمه المتفتحة التي تملأ الدنيا أزهارًا زكية عطرة، وهي الأحلام والآمال، وهي قطرات الندى فوق الورود الجميلة في صباحات الحياة المشرقة. ما أجمل الأطفال! تجد في ابتسامتهم البساطة، لا يحقدون ولا يحسدون، وإن أصابهم مكروه لا يتذمرون، يعيشون اليوم بيومه؛ بل الساعة بساعتها، أحاسيسهم مرهفة، وأحاديثهم مشوقة، وتعاملاتهم محببة.

الطفولة صفحة بيضاء، وحياة صفاء، ثغر باسم وقلب نقي. الطفولة عالم مخملي، شجرة نقاء وارفة الظلال، وأغصان عفوية تحمل ثمار العقول. الطفل هو لبنة المستقبل، وإذا كنا نحلم بمستقبل حي وباهر، يخالف تمامًا هذا الحاضر الميت المنطفئ، فلا مفر من النظر إلى الطفل، وكيف يُعد إعدادًا يؤهله لاستعمال عقله، وتهيئة إرادته، لصنع وطن جديد، يمشي ملكًا، في الطليعة الإنسانية[١].

يمثل (أدب الأطفال) دعامة أساسية في بناء ثقافة الطفل، ووسيلة ذات أهمية بالغة في توجيه سلوكه، وتشكيل قيمه واتجاهاته، وتكوين شخصيته من النواحي العقلية والنفسية والاجتماعية، كما يشكل الاهتمام بهذا النوع من الأدب جزءًا لا يتجزأ من عملية التربية لهذا الكائن الناشئ، ورافدًا متميزًا لها، ولا تنبع أهمية أدب الأطفال من كونه أداة تربوية مهمة لتنمية شخصية متوازنة للطفل فحسب، بل كونه يشكل عاملًا في تنمية المجتمع والنهوض بمتطلباته.

ولا يختلف هذا النوع الأدبي كمصطلح عن أدب الكبار، إلا في كونه يتخصص في التوجه إلى فئة معينة هي فئة الأطفال؛ لذلك يتوجب عند الكتابة لهم الأخذ بعين الاعتبار خصوصية كل مرحلة نمائية من مراحل الطفولة، وخصائصها، وقدراتها، واحتياجاتها النفسية والعقلية والانفعالية واللغوية.

وعلى الرغم من أصالة الاهتمام بأدب الأطفال عالميًا، إلا أنه لم يتبلور في الوطن العربي إلا في زمن متأخر نسبيًّا، وقد شهد منذ أوائل القرن العشرين نهضة جيدة، حيث بدأ الاقتباس والترجمة عن آداب الأمم الأخرى، ثم انتشر التوظيف من التراث الشعبي لصالح الأطفال قبل أن يتبلور مصطلح الكتابة لهم، ويتخذ طابعًا حديثًا في مرحلة التأليف والإبداع(٢).

يُعرِّف د. (علي الحديدي) أدب الأطفال بأنه: "خبرة لغوية في شكل فني، يبدعه الفنان للأطفال بين الثانية والثانية عشرة أو أكثر قليلًا، يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة، وينمي فيهم الإحساس بالجمال، ويقوي تقديرهم للخير ومحبتهم له، ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان"(٣).

إن لأدب الطفل – حسب المراحل العمرية – مفهومين رئيسين يدور حولهما، كالتالي:

- **أدب الطفل بمعناه العام:** وهو يعني الإنتاج العقلي المدوَّن في كتب موجَّهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة؛ مثل: كتب الأطفال العلمية المبسطة والمصورة، وكتبهم الإعلامية، ودوائر المعارف الموجَّهة إلى الأطفال.

- **وأدب الأطفال بمعناه الخاص:** وهو يعني الكلام الجيد الذي يُحدِث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية سواء أكان شعرًا أم نثرًا، وسواء أكان شفويًّا بالكلام، أم تحريريًّا بالكتابة، مثل قصص الأطفال ومسرحياتهم، وأناشيدهم وأغانيهم، وما إلى ذلك.

فأدب الأطفال بشتى ألوانه وأنواعه يمكن أن يسهم حيال الناشئة نحو حياة أفضل في عالم الغد، وأن يقدم خدمة الحياة في مناخ المستقبل: أي المادة المعرفية والمعلومات والمهارات والقيم، وهو مما يعين الأطفال على التكيف مع المستقبل، والتحلي بالمرونة، والتفكير العلمي، والقدرات الابتكارية والإبداعية اللازمة لمواجهة المتغيرات الجديدة.

إن الواقع العام لأدب الأطفال عربيًّا، واقع يتسم – عمومًا – بقلة الاهتمام، وضعف المقدرة على مجاراة متطلبات العصر، قياسًا بالمجتمعات الأخرى التي قطعت في مجاله شوطًا كبيرًا.

إن هذا اللون الإبداعي يعاني من عدة مشكلات، تعوق تقدمه وبلوغه المستوى المطلوب، ولعل أهم هذه المشكلات أننا لا نزال نخلط بين أدب يُكتَب أو يوجه للطفل، وأدب يدور حوله وحول ثقافته. ثم إن عدد كُتَّاب الأطفال أصلًا لا يزال قليلًا، وينأى بعضهم عن مواصفات الأدب الحقيقي الذي يكرس القيمة الإنسانية السامية، ويعزز الاتجاهات التي تنمي فيهم روح العلم والحداثة. أدب تكرر فيه الأفكار والمشاهدات والموضوعات؛ حتى ملها الصغار وعافتها نفوسهم.

أما من الناحية الفنية فالكثير من النماذج الأدبية الطفلية لا تزال رهينة لنمطية التوجيه المباشر، وأساليب الأوامر والنواهي، ناهيك عن سيادة الأهداف التجارية، بدءًا بصناعة الكتاب، وليس انتهاء بالوسائط التي تنقل نتاجات هذا الأدب، مع ضعف كبير للحركة النقدية المرافقة لمسيرته، يقول أحد باحثي هذا المجال، وهو الدكتور (محمد شاكر سعيد) في مؤلفه (الكتابة للأطفال): "إن كثيرًا مما كُتِب للأطفال في واقعه ليس صالحًا لهم؛ لتجاوزه مستويات الأطفال، أو لتجاوزه الجانب التربوي المناسب لهم، أو لعدم تضمينه قيمًا أخلاقية تسهم في تربيتهم وتنشئتهم"(٤).

أولًا – ماذا يريد منا الأطفال ثقافيًا؟

إن الثقافة تُعد من أهم ركائز التنمية؛ لأنها تبدأ بالطفل وهو يفتح عينيه منذ رؤيته للحياة على الشوق إلى المعرفة، فيعرف أمه من صوتها ومن رائحتها، ويعرف بيته من ألوانه، ويعرف ألعابه من لمساته لها.. وهكذا.

ولكي تكون هذه التنمية مفيدة ومتجددة، علينا أن نكف عن السؤال المستهلك: ماذا نريد لأطفالنا.. ليصبح السؤال الجديد الفاعل هو: ماذا يريد منا الأطفال؟.

إنهم يريدون منا أن نقدر ذكاءهم ونحن نتعامل معهم.

ويريدون منا أن نعرفهم بالمنطق واللطف هويتهم العربية العريقة.

ويريدون منا أن نبسط لهم ألوان الثقافة المتعددة.

ويريدون منا استطلاع آرائهم فيما نقدم لهم من أعمال.

ويريدون منا تقدير إبداعاتهم ومواهبهم.

ويريدون منا أن نترجم لهم ما يضيف إلى عقولهم.

ويريدون منا أن نرعى أصحاب الظروف الخاصة منهم، ونعمل على اندماجهم مع غيرهم من الأطفال.

ولهذا علينا أن نضع هذا (المستهلك) الصغير في حساباتنا ونحن نقدم له ما يجعله رجل المستقبل المأمول، والغريب أننا اعتدنا في كل أبحاثنا الرجوع إلى علماء العرب.

١. أبو الحسن القابسي: صاحب رسالة (أحوال المتعلمين، وأحكام المعلمين والمتعلمين).
٢. ابن سحنون: تناول أسلوب التعليم والعلاقة بين المعلم والتلميذ.
٣. أبو حامد الغزالي: أكد على قيمة العلم والتعليم، وأن العلم فرض عين على كل مسلم، وكان يقول: (التربية تشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات من بين الزرع؛ ليحسن نباته).
٤. ابن مسكويه: تحدث عن الفلسفة الخلقية والتربوية، ويتجه إلى أن التربية تنزع نزعة واقعية علمية.
٥. ابن جماعة: نبَّه على ضرورة الاهتمام بالمعلم؛ لأنه الركيزة الأولى في العملية التعليمية.
٦. ابن خلدون: يرى التعليم ضرورة حياتية، وأن التفاوت بين البشر قائم على الفروق في اللغات والمذاهب.
٧. إخوان الصفا: أدركوا التدرج في تعليم الصغار بالمحسوس أولًا، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الكتابة.

هذه نماذج من علمائنا الذين لو درسنا آراءهم كما ندرس علماء الغرب لاكتشفنا سبقهم تاريخيًّا وعلميًّا وفلسفيًّا في مجال التربية[٥].

يُعد الاعتراف بقيمة الطفل أحد المقاييس المهمة للتقدم الحضاري في مجتمعٍ من المجتمعات، وضرورة الالتزام برعايته وتثقيفه، وما يتبع ذلك من اهتمام بالوسائل والأدوات التي يتعامل معها، وتسهم في تكوينه فكريًا ونفسيًا[٦].

إن أدب الأطفال للطفل مثل الفيتامينات للفكر، ويجب أن يربى الأطفال فكريًا وروحيًا وعقليًا كما يربون جسديًا، فتتوازى فيتامينات الجسد مع فيتامينات الفكر والروح، وقد نرى في واقعنا اهتمامًا لدى كثير من الأُسَر بصحة الطفل وأجساد الأطفال، ونجد مثل هذا الاهتمام عند كثير من الأمم، بل وكثير من الثقافات، ونجد كثيرًا من الأفراد والمنظمات تهرع إذا عُذِّب الطفل، أو اعتدي عليه جسمانيًا – وهذا أمر ممدوح ولا شك في ذلك – ولكننا في كثير من الأحيان نجد انتهاكًا وتعديًا على عقل الطفل وروحه وفكره، ولا نرى تحركًا ولو بلفظة[٧].

ثانيًا – رؤى وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية

وهي تشمل ما يلي:

مستقبل صحافة الأطفال ومطبوعاتهم

تخلفت صحافة الأطفال في الوطن العربي كمًا وكيفًا، فعدد مجلات الأطفال قليل، والمطبوع منها كمية متواضعة، وإذا قسمنا عدد النسخ الصادرة في كل أقطارنا على عدد أطفالنا فإن كل طفل سيحصل على صفحة واحدة من المجلة سنويًا (تصدر نحو عشر مجلات عربية للأطفال لا أكثر، بشكل

منتظم، والنسخ المطبوعة منها سنويًا لا تتجاوز خمسة ملايين، في حين أن عدد أطفالنا يقترب من ٤٥ مليون طفل).

والسؤال: هل يمكن أن يكون لمثل هذه المجلات مستقبل؟. إن هناك أكثر من (٢٠٠) مجلة أمريكية للطفل تطبع (٤٠٠) مليون نسخة سنويًا لعدد من الأطفال لا يزيد كثيرًا على أطفالنا؛ لذلك نجد أن نصيب طفلهم عشر مجلات سنويًا، وهناك دار نشر واحدة في إنجلترا تصدر من مجلات الأطفال ضعف ما يصدر في الوطن العربي كله، وتطبع من كل مجلة أضعاف ما تطبعه مجلاتنا.

هذا من ناحية الكم الذي ترجع قلته إلى ضعف القدرة الشرائية وإلى زيادة نسبة الأمية، وضعف شبكات التوزيع، إلى جانب أن المادة المنشورة ليست جذابة بدرجة كافية.

هل ترضى أمة (اقرأ) عن هذا (الكم) المتواضع و(الكيف) الأكثر تواضعًا في مجلات الأطفال؟.

إن صحافة الأطفال بحاجة ماسة إلى طفرة، ولا بد وأن تصدر عشرات المجلات الجديدة للأطفال في كل بلد عربي، ويجدر بنا أن تكون لدينا عشرات المجلات التي تصدر على مستوى الوطن العربي. وفق مراحل أعمارهم، ووفق فروع المعرفة والاهتمامات: من علمية، ورياضية، وفنية، وثقافية.

ويجب ألا نترك الساحة خالية للمجلات الأجنبية المترجمة تغزو أسواقنا وعقول أطفالنا. لسنا ضد فتح النوافذ لهم على ما يقرأه طفل اليوم، بل هم في أشد الحاجة إلى ذلك، لكننا ضد أن يحتل (ميكي) و(سوبرمان) و(طرزان)

عقولهم. بدلًا من تراثهم المتمثل في (الأذكياء)، لابن الجوزي، و(الحيوان)، للجاحظ، و(كليلة ودمنة)، لابن المقفع، إلى جانب (السندباد البحري)، و(علاء الدين)، و(علي بابا).

وهذه الصحافة الجديدة يجب أن تكون متطورة، وأن تشتمل على مادة علمية حديثة، وأن تشيع فيها المواد التي تحتاج إلى أن يشحذ للصغير ذهنه، وأن نربيه على التفكير العلمي، والابتكار والإبداع، كما لا بد لها من الاهتمام بالحكايات الشعبية العربية والسير، مع الإلحاح على القيم الروحية والدينية في أسلوب جديد بعيد عن المباشرة والوعظ، كما يجدر بنا أن تكون تلك الحكايات ذات حس قومي، وأن تكون وسيلة لتوحيد الفكر بين الأجيال الجديدة الصاعدة.

وفي العالم العربي نجد كثيرًا من المجلات المترجمة التي لا تهدف إلا إلى زيادة التوزيع على حساب أية قيمة أو معرفة يهمنا أن نغرسها في أطفالنا، بل هي كثيرًا ما تنمي قيمًا ضارة ومضادة لقيم مجتمعنا.

وحتى لو غضضنا الطرف عما ينشر بتلك المجلات أحيانًا مما يلائم أطفالنا، فهي على أي الأحوال لا تتبنى ما يهمنا أن نغرسه في أطفالنا، ولا تؤكد على العادات والقيم التي لا بدَّ للطفل العربي أن يعايشها في مجلته التي يطالعها كل أسبوع، كما أن هناك نقصًا شديدًا في مجلات الأطفال التي تصدر في كل بلد من البلاد العربية.

لذلك صدرت التوصية التالية عن حلقة (العناية بالثقافة القومية للطفل العربي) التي عُقِدت في بيروت في شهر سبتمبر ١٩٧٠، تحت رعاية الإدارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية:

أولًا – أن تتبنى جامعة الدول العربية مشروع إصدار سلسلة من ثلاث مجلات للأطفال، تصدر شهريًّا على الأقل على مستوى الوطن العربي، وتخاطب أطوار الطفولة المختلفة (من ٣ إلى ٦، ومن ٧ إلى ١١، ومن ١١ إلى ١٥)، على أن يقوم بتحريرها متخصصون من جميع الدول العربية، وأن تُعنى بالجانب القومي والثقافي والعلمي.

ثانيًا – وقف صدور المجلات الأجنبية المترجمة، والتي لا تتفق مع قوميتنا وعاداتنا، ولا الثقافة المطلوب تقديمها للطفل العربي.

ثالثًا – تيسير وصول المجلات المحلية الصالحة إلى مختلف أرجاء الوطن العربي، مع توجيه المشرفين عليها إلى الاهتمام بالنواحي العلمية[٨].

مستقبل كتب الأطفال

من المهم أن نعرف أن نصيب الطفل من الكتب في الاتحاد السوفيتي (سابقًا) هو (٤،٧) كتاب، وفي أمريكا (٣،٩) كتاب، وفي إنجلترا (٢،٦) كتاب، وأن نصيبه في الوطن العربي سطر من كتاب، أو جملة، وربما كلمة! ولست مبالغًا فيما ذكرته؛ إذ تصدر أمة (اقرأ) لأطفالنا سنويًا ما لا يزيد على (مائتي) كتاب في مقابل (٢٥٠٠) كتاب للأطفال في أمريكا حتى سنة ١٩٨٨م، وأصبحت خمسة آلاف بعدها؛ مما رفع نصيب الطفل فيها إلى (٧،٨) كتب سنويًا!.

وإذا كان هذا الكم الضئيل مفزعًا للآباء والمربين فإن (الكيف) في كتبنا أشد إقلاقًا لنا، ويكفي هذا السيل المنهمر من النقل والترجمة والاقتباس، بل إن من ينقلون لا يتحرجون ولا يذكرون مراجعهم، واختلط الحابل بالنابل كما

يقولون، ولم يعد الإبداع في هذا المجال يلقى ما هو جدير به من الرعاية والتشجيع والعناية، وهذه أمور لا يمكن أن نقبلها مستقبلًا.

إن كتب المعرفة لا بد وأن يكون تأليفها من خلال فرق عمل وجماعات، ولا تترك للأفراد، كما أن الاعتماد على الكتب المقررة مدرسيًا يجب أن ينتهي. لتبدأ حقبة جديدة ندرب فيها الصغار على اللجوء إلى دوائر المعارف والكتب المرجعية، بدلًا من أن ينغلقوا داخل كتاب معين لمؤلف معين، والكتب التي تؤلف حديثًا من المهم أن تركز على البيئة العربية، والحضارة العربية؛ ربطًا لأبنائنا بوطنهم وجذورهم. أما الكتب الأدبية فالحاجة فيها إلى الإبداع والابتكار ماسة، ونعرف أنه ليس في بلدنا عدد كبير من المبدعين والمبتكرين، لكن من الضروري أن نبحث عنهم في دأب، وأن نرعاهم في حفاوة. إن (مؤلف) كتاب الطفل – عالميًا – يلقى رعاية خاصة ومساندة كبيرة، وكذلك الرسام. ولن تتقدم كتبنا للأطفال إلا إذا حدث ذلك في بلادنا.

ولقد أصبح من المهم أن تقوم مؤسسة عربية لنشر كتب الأطفال على نسق مؤسسة (ماكسيم جوركي) التي قامت سنة ١٩٣٠م في الاتحاد السوفيتي. وقد سبقت إلى ذلك دار (كامل كيلاني)، ثم دار الفتى، وركزت الأولى على كتب صاحبها، والثانية على القضية الفلسطينية، وبودنا أن تقوم مؤسسة لديها إمكانات كبيرة قادرة على أن تنهض بهذا المجال الحيوي على امتداد خريطة الوطن العربي كله.

مستقبل برامج الأطفال في الإذاعة المسموعة

لم تعد الإذاعة تلقى الاهتمام إلا في أضيق الحدود، وكذلك برامجها للأطفال التي ألغتها عدة دول منذ وقت بعيد – فرنسا وإيطاليا منذ السبعينيات – وذلك لأنها لم تعد قادرة على منافسة التليفزيون، وعلى اجتذاب الأطفال، والسؤال: هل تفعل بلدان الوطن العربي الشيء نفسه بعد فترة قد تطول أو تقصر؟.

يقينًا سيحدث هذا يومًا ما، وتعود الإذاعة – كما بدأت – لتكتفي بالأخبار والموسيقى. لكن هذا اليوم قد يتأخر لأسباب عدة، من بينها أننا أمة تهتم بفن (القول)، والرقعة متسعة، ولن يغطيها القمر الصناعي العربي، ولن يقبل المشاهد العادي على البرامج العالمية التي تبثها أقمار الدول المتقدمة؛ نتيجة لاختلاف الاهتمامات والثقافات؛ لذلك نتصور أن الاعتماد على الإذاعة المسموعة ربما يطول، وأننا سوف نظل نبث من خلالها برامج للأطفال، قد تجد مستمعًا هنا أو هناك، خاصة في الأماكن الصحراوية النائية، ولن نعدم مستمعًا في الريف، بل والمدينة إذا نجحت عناصر جديدة في استيعاب فن الإذاعة المسموعة، واستطاعت أن تقدم شيئًا جديدًا وجذابًا ومثيرًا، وبالذات إلى مستمعي الترانزستور الذي يسهل حمله، وربما اتجهت هذه البرامج ذاتها إلى الموسيقى والأخبار بجانب بعض المواد الترفيهية كالأغاني، وبعض المواد الثقافية والتعليمية، لكنها مع كل ذلك ستكون محدودة الأثر.

مستقبل برامج الأطفال في التلفاز

يشكل إطلاق القمر الصناعي العربي مرحلة جديدة بالنسبة للإرسال التليفزيوني والاستقبال، وهو سيضع أطفالنا على عتبات القرن الحادي والعشرين، ولسنا نتصور مادة أجنبية واحدة ستقدم عبر هذا القمر، ونحن نحتاج إلى توضيح الأهداف ورسم الطرق ووضع الخطط لهذه البرامج بشكل يجعلها جذابة، وبحيث نحقق أهدافنا الإعلامية والتربوية والتعليمية والتثقيفية، وإذا كانت البرامج الترفيهية تلقى الإقبال، إلا أنها لا تكفي، وقد أظهرت دراسة عربية أن طفلنا يقضي في حجرة الدراسة (٧٠٠) ساعة، وأمام شاشة التلفزيون يقضي (ألف) ساعة! وفي أمريكا يبقى الأطفال ما بين سن (٦ – ١٦ سنة) نحو (١٦ ألف) ساعة أمام الشاشة خلال هذه السنوات العشر.

بينما يقضي في المدرسة (١٣ ألف) ساعة، إنها إحصائيات لا بد أن تثير اهتمامنا بهذه الأداة الجديدة ورفيقها (الفيديو)، ومستقبلًا سيكون الاعتماد على هذا الجهاز أساسيًا، ومن الضروري تفادي سلبياته، وتنمية إيجابياته.

وقد عُقِدت حلقة دراسية خاصة في القاهرة في الفترة من ١٦ – ١٨ يناير ١٩٨٥م، ونوقشت خلالها ورقة حول الاستخدام الأمثل للقمر الصناعي العربي فيما يختص ببرامج الأطفال، وفي تصورنا أن هذه البرامج في حد ذاتها تحتاج إلى حلقة خاصة، وإعداد مسبق، ولا يمكن أن تترك للاجتهادات الشخصية، كما نود أن تشيع في البرامج روح المرح ورسم الابتسامة على شفاه الأطفال جنبًا إلى جنب مع المواد الثقافية.

إن مستقبل ثقافة أطفالنا يعتمد اعتمادًا كاملًا على الشاشة الصغيرة، وحسن استخدامها، والإفادة منها؛ إذ سوف تصبح هذه الشاشة المصدر الأول والرئيس لهذه الثقافة التي يحتاج إليها الأبناء.

سينما الطفل ومسرحه في مستقبل الأيام

إن ماضينا في مجال مسرح الطفل يقتصر على (الأراجوز)، وفي مجال سينما الطفل يقف عند (خيال الظل) و(صندوق الدنيا)، ونحن مع الأسف لم نعنَ بشكل كافٍ بمسرح الطفل، ولا بالفيلم الذي يعرض عليه في دار السينما على الشاشة الكبيرة، كما أننا نستطيع أن نطور فن (العرائس) أو (خيال الظل) أو (صندوق الدنيا)، وكل محاولاتنا اقتباس ما قدمته الدول المتقدمة في مجال مسرح الطفل وسينما الطفل، وتعثرت محاولاتنا هذه على الطرق لعدة أسباب، ويجدر بنا أن نعترف أننا لم نوفق ولم ننجح في المجالين، وهذا أمر بلا شك له تأثيره على المستقبل، رغم إيماننا بأن المسرح يجمع فنونًا تلتقي على خشبته، فيه فن الأدب في النص نثرًا وشعرًا، وفيه الفن التشكيلي متمثلًا في الديكور والملابس، وفيه الموسيقى والإيقاع، وفيه فن الإلقاء والتمثيل، وفيه الإضاءة والحركات الإيقاعية. بجانب الإخراج، لكن كل ذلك لم يشفع للمسرح كي ينمو ويزدهر بالنسبة للكبار والأطفال.

وحين نتطلع إلى المستقبل نحتاج إلى أن نتجه إلى المؤسسات العربية العاملة في هذا المجال:

- المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم.
- المجلس العربي للطفولة والتنمية.

- اتحاد الصحفيين العرب.
- مركز أدب الأطفال.
- اتحاد الكتاب العرب.

هذه المؤسسات والأجهزة التابعة لها تحمل أمانة قومية تاريخية تجاه ثقافة الأطفال حاضرًا ومستقبلًا، ونحس منها كلها بتقاعس شديد نحو هذه الحيوية، ولا نرغب في تلمس الأعذار لها وفي إيجاد التبريرات، وربما ليست هناك قضية يجمع عليها العرب مثل (قضية الطفولة)، ولسنا بمتجاوزين دورنا إذا نحن دعونا جامعة الدول العربية، بل ومؤتمر قمة لبحث قضية الطفولة، وثقافتها وصحتها. هل لدينا أغلى وأهم من (مستقبل الأمة)؟. يجدر بنا أن يحلق طائر ثقافة الأطفال الحديثة بجناحين: أحدهما من التراث، والثاني الإبداع، على أن يتجاوز الإنتاج منهما ما هو منقول مترجم؛ لنبني ثقافة أطفالنا على أسس قومية وعربية(٩).

رؤى حول الكتاب الإلكتروني

إن الكتاب الإلكتروني الذي يمكن أن تحتوي ذاكرته على حوالي (٢٥٠٠) كتاب (حوالي٢ مليون صفحة)، من بينها معاجم وقواميس ودوائر معارف، قد يكون منافسًا للكتاب الورقي، لكنه في المقابل يتيح للقارئ آفاقًا أوسع كثيرًا جدًّا للقراءة، مقارنة بالكتاب الورقي، عندما يتيح وجود مكتبة كاملة في حقيبة اليد أو في الجيب، من بينهما مثلًا، الترجمة الكاملة لـ (ألف ليلة وليلة)، أو قاموس أو دائرة معارف كاملة.

وقد حدثت زيادات هائلة في استخدام الكُتب الإلكترونية الموجهة إلى (البالغين الصغار)، لكن هذه الكتب لم تنجح – حتى الآن – بنفس الطريقة مع السن الأصغر – قبل سن ٨ – ٩ سنوات.

ومع ذلك لا يزال البحث قائمًا حول كيفية مواجهة تحديات ومتطلبات المحتوى الرقمي الموجه إلى الأطفال، والتغييرات التي يجب مراعاتها عند إعادة تقديم كتب الأطفال بوسائل رقمية، مثلًا: لتحقيق القراءة التفاعلية، ولاستخدام الحركة في رسوم الكتب الملونة، مع رصد ودراسة كيف سيؤثر نمو وسائل القراءة الإلكترونية على مستقبل أدب الأطفال.

ومن إمكانات الكتاب الإلكتروني، أن القارئ يستطيع تكبير الحروف على النحو الذي يريح العينين، كما يمكن، وبسرعة، استحضار معنى أية كلمة قد تصادف القارئ خلال القراءة، وذلك من ذاكرة القاموس الذي يحتوي عليه الكتاب، كما يمكن بسهولة إضافة كتب جديدة، أو استبعاد كتب لم يعد المُستَخدِم في حاجة عاجلة إليها.

ومن السهل دائمًا أن يعود القارئ إلى آخر صفحة كان يطالعها، إذا انشغل عن القراءة ساعة أو يومًا أو عدة أيام، بل يمكن للقارئ، أحيانًا، تسجيل ملاحظاته على هوامش ما يقرأ، ومحو هذه الملاحظات متى شاء.

وهناك في الغرب يحصل الناشرون على ثمن كل نسخة إلكترونية، وإن كان هذا الثمن أقل عادة من ثمن النسخة الورقية ذات الغلاف العادي؛ لأنه لا توجد تكاليف طباعة ولا ورق ولا تجليد.

لكن بعض هذه الكُتب الإلكترونية لا تقدم دائمًا الرسوم الموجودة في الكُتب الورقية، أو لا تُظهرها بالألوان، وهذا يُقلل كثيرًا – حتى الآن – من استخدام الكُتب الإلكترونية في مجال كُتب صغار الأطفال التي تعتمد على الرسوم الملونة، خاصة من عُمر صفر حتى عُمر ٨ – ٩ سنوات – (وعندنا في العالم العربي حتى ١٢ أو ١٣ سنة).

ومما يشجع على اقتناء الكتاب الإلكتروني رخص ثمنه حاليًّا، وهذا الكتاب حمله سهل جدًّا، فوزنه لا يزيد على (١٠٠) جرام، واستخدامه يتم بنفس السهولة، وأصبح يندمج الآن مع الهاتف المحمول.

أما في مصر والعالم العربي، فلم تصل بعدُ أصداء استخدام الكتب الإلكترونية؛ بسبب ضعف وقلة المحتوى الرقمي باللغة العربية(١٠).

ثالثًا – رؤى ثقافية جديدة للطفل في ظل الجمهورية الجديدة

وتشمل ما يلي:

الحماية الدستورية والقانونية لحقوق الطفل في دستور ٢٠١٤م

لقد ركز دستور مصر ٢٠١٤م على ركائز مهمة تتصل بحماية ورعاية الطفل، ألا وهي العدالة الاجتماعية، وتكافؤ الفرص، وعدم التمييز، والحرية والكرامة الإنسانية، وتضمن الدستور تدابير استباقية وتمييزًا إيجابيًّا لصالح الفئات المهمشة، منهم الأطفال والمراهقون والأيتام، والموهوبون علميًّا ورياضيًا، والأطفال بلا مأوى، وأبناء الشهداء، وأبناء أهل النوبة، وأبناء الفلاحين والعمال.. وأرسى الدستور مبادئ حقوق الطفل، وألزم الدولة بحمايته وتمكينه، من خلال تشريعات تترجم لسياسات قومية لتمكين الأسرة والطفل.

كما تضمن الدستور تدابير لتنمية وبناء قدرات العاملين معًا ولأجل الطفل في المجالات الاجتماعية، ومن أهم ما نص عليه الدستور: تعزيز مهارات وقدرات الأطفال الوجدانية والعقلية والثقافية من مرحلة الطفولة المبكرة إلى مرحلتي: المراهقة، والشباب؛ بهدف بناء الشخصية المصرية.

ولأول مرة في تاريخ الدساتير المصرية خصص الدستور نسبة من الناتج القومي الإجمالي لضمان حق الطفل في التعليم والصحة، وجرم الدستور الامتناع عن تقديم العلاج للطفل في حالات الطوارئ والخطر على الحياة.

أبرز قرارات النائب العام لصالح الطفل

لقد أصدر النائب العام توجيهات لأعضاء النيابة العامة للتحقيق في جرائم ختان الإناث، كما أصدر الكتاب الدوري في ٢٠١٨م بشأن تفعيل دور لجان حماية الطفولة، وتطوير منظومة العدالة الجنائية، والذي أصبح دليلًا لأعضاء النيابة العامة لضمان المصلحة الفضلى للطفل في كافة مراحل الدعوى، كما تم إنشاء مكتب حماية الطفل بإدارة التفتيش القضائي بمكتب النائب العام؛ ليكون معنيًّا بحماية حقوق الطفل، ودعم خط نجدة الطفل.

مبادرة منظومة التأمين الصحي الشامل

تم تطبيق (منظومة التأمين الصحي الشامل) الجديدة التي تستهدف التغطية الصحية لجميع أفراد الأسرة، ومبادرة (١٠٠ مليون صحة) حيث شملت المبادرة طلاب المدارس من خلال الكشف عن أمراض السمنة والأنيميا والتقزم، وتم صرف علاج الأنيميا بالمجان إضافة إلى التوعية، وصرف العلاج للأطفال ضد السمنة والنحافة.

وشملت مبادرات (الإصلاح الصحي) للأطفال حديثي الولادة، حيث تقرر أن يتم الكشف المبكر عن ضعف السمع بين المواليد الذين يتجاوز عددهم (٢،٦ مليون) طفل سنويًا، كما تم إطلاق حملة (صحتنا في أسلوب حياتنا) لدعم الحياة الصحية والتوعية بأسلوب التغذية الصحية، أيضًا تم إطلاق مبادرة (نور حياة) للعلاج المبكر لأمراض ضعف وفقدان الإبصار بين تلاميذ المرحلة الابتدائية.

جائزة المبدع الصغير لعام ٢٠٢٢م

وهي من المسابقات والجوائز القيمة والأولى من نوعها في مصر، والتي استحدثتها الدولة المصرية تحت رعاية السيدة قرينة رئيس الجمهورية، للأطفال من سن ٥ سنوات إلى ١٨سنة، والتي تهدف إلى الاكتشاف المبكر للمواهب الصغيرة، وتحفيز الطاقات الإبداعية في مجالات الثقافة والآداب والفنون والابتكار، وذلك ضمن الأهداف الاستراتيجية العامة للدولة، والتي تعمل على بناء الإنسان المصري، وترسيخ هويته من خلال خلق ووضع آليات مؤسسية تعمل على تشجيع الأطفال على القراءة والكتابة والإبداع والابتكار؛ لتحقيق الريادة الثقافية لمصر، مع مراعاة تقديم الرعاية اللازمة للفائزين؛ لصقل مواهبهم وتنميتها؛ وذلك تشجيعًا لهم على الاستمرار في إبداعهم.

إن هذه الجائزة تعد إنجازًا جديدًا للدولة المصرية يجسد التزام الوطن برعاية وتشجيع النشء، وتتماشى مع النصوص الدستورية التي تتمح الحق في الثقافة لكل مواطن، كما تكفل حرية الإبداع للنهوض بالفنون والآداب، وحماية

الإنتاج الثقافي والفني، وتوفير الوسائل اللازمة لذلك، من إيجاد بيئة محفزة على الابتكار، ودعم النابغين الصغار، ورعاية إنتاجهم في مجالات الثقافة والفنون.

وهذه الجائزة تنظمها وزارة الثقافة، ممثلة في إشراف المجلس الأعلى للثقافة، وتقام وتوزع جوائزها القيمة في حفل على المبدعين المتميزين من الأطفال الصغار من كافة محافظات الجمهورية على المسرح الصغير بدار الأوبرا المصرية، وتحضرها السيدة وزيرة الثقافة، واللجنة العليا للجائزة، ولجان التحكيم، وأولياء أمور الأبناء الفائزين في تلك المسابقة، بالإضافة إلى حضور عدد كبير من قيادات الوزارة.

ويقدم من خلال هذا الاحتفال تلك الأغاني الوطنية التي تشيد بحب مصر، مع عرض الفيلم التسجيلي عن الفائزين في تلك المسابقة التي تُعد من المسابقات غير المسبوقة في الوطن العربي؛ لأنها ترتبط بالأطفال والنشء عماد المستقبل ورجال الغد، وتبرهن على اهتمام الدولة بهم ورعايتها لهم، وتقديرها لموهبتهم وإبداعهم في مجالات الأدب: الشعر، والقصة، والكتابة المسرحية، وفي الفنون من خلال الرسم، والعزف.

ومما يجدر ذكره أن وزارة الثقافة أكدت على مضاعفة أعداد الفائزين بجائزة الدولة للمبدع الصغير في دورتها الثانية، واختيار أربعة في كل من فروع الجائزة الثمانية، بواقع فائزين لكل مرحلة عمرية، مع توفير الرعاية الكاملة للفائزين من خلال القطاعات والهيئات المختلفة التابعة للوزارة، والبدء في إصدار سلسلة أدبية فنية جديدة تحمل عنوان (جائزة الدولة للمبدع الصغير)

تصدرعن المركز القومي لثقافة الطفل؛ للتعريف بإبداعات الصغار في مجالات القصة والمسرح بالإضافة إلى الرسم.

وقد أنشأت الوزارة لتلك المسابقة الفريدة موقعًا إلكترونيًا خاصًا بالجائزة لأول مرة، لاستقبال أعمال وإنتاج الأطفال إلكترونيًا، وقد تلقى الموقع ما يتجاوز الـ (٩٠%) من الأعمال المشاركة لعام ٢٠٢٢م.

ومما يؤكد على مهارة أطفال مصر وتفوقهم وإبداعهم أمام أطفال العالم، ويبرهن بما لا يدع مجالًا لأدنى شك، أن مصر أيضًا ستظل معطاءة وولادة للإبداع في كافة مجالات الأدب والفنون والابتكار– أنه خلال شهور المسابقة دخل نشء مصر وأطفالها في منافسة مع أقرانهم، وتباروا في إظهار مهاراتهم وقدراتهم وإبداعاتهم في كل المجالات، ومما يبشر بالخير أن أمانة تلك الجائزة قد تلقت أكثر من ألفين وخمسمائة عمل إبداعي، وأظهرت براعة أطفال مصر، وأنهم قادرون على العطاء والإبداع والابتكار، وأن مصر أم الدنيا معين لا ينضب من المواهب، ولن تعدم القدرة على الإبداع.

رابعًا – مشروعات ثقافية كبرى تقوم بها كل من الأزهر ووزارتي: الثقافة، والأوقاف تختص بثقافة الطفل، وهي:

توزيع وزارة الأوقاف سلسلة (رؤية للنشء حروب وهمية)

وهي سلسلة الإصدار الثاني رؤية للنشء حروب وهمية، بلغة (برايل) أطلقتها وزارة الأوقاف، ويأتي ذلك في إطار جهودها واهتمامها بذوي الهمم، وإيمانًا منها بأن إنجازات ذوي الهمم قوة إضافية للمجتمع، ومسابقة منها للزمن في تحصين المجتمع وبخاصة النشء وذوي الهمم من مخاطر التطرّف، وعملًا

على نشر الفكر الوسطي المستنير، وتعزيز وترسيخ وتجذير أسس الولاء والانتماء الوطني، واستجابة لتوجيهات رئيس الجمهورية بدعم ذوي الهمم.

وهذا الإصدار القيم من تلك السلسلة (رؤية للنشء) تأتي متضمنة الفكر المستنير، ومراعاة واقع العصر في ضوء الحفاظ على ثوابت الشرع، وما تتضمنه من جوانب ثقافية عامة، المجتمعُ في أمس الحاجة إليها، وما تقدمه من إضافة إيجابية: فكريًّا، وثقافيًّا، ومعرفيًّا، وسلوكيًّا، لمكتبة الطفل والنشء بصفة عامة، كما أنه يُعد أنموذجًا متميزًا في مناقشة قضية العنف، ومواجهة الفكر المتطرف وتفكيكه حفاظًا على الأمن القومي المصري والعربي، وتفكيك أفكار التنظيمات الإرهابية والمتطرفة والمتشددة، والحيلولة دون تسرب أي من أفكارها إلى عقول النشء، وخاصةً ذوي الهمم، حيث تعمل الجماعات المتطرفة على محاولة استقطاب أطفالنا من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة، والتي تُعد في مقدمة الوسائل التي يتعرض لها الأطفال المكفوفون؛ لما توفره من خصائص وتقنيات حديثة تمكنهم من التواصل مع الآخرين.

وقد صدر كتاب (حروب وهمية)، بالتعاون بين الهيئة المصرية العامة للكتاب، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والذي تأمل وزارة الأوقاف من خلاله أن يكون زادًا معرفيًّا، ومحركًا سلوكيًّا لأبنائنا تجاه القيم الإيجابية، وكافًّا لهم عن الاتجاهات السلوكية السلبية.

إصدار مجلة (الفردوس) للأطفال، واستقلالها

وهي مجلة مصرية شهرية للأطفال، وقد كانت تصدر من قبل ملحقًا لمجلة (منبر الإسلام) الصادرة في القاهرة عن المجلس الأعلى للشئون

الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف، وهي مجلة تصدر منذ منتصف الثمانينيات، وشعار تلك المجلة خلال تلك الفترة هو: (مجلة إلى الطفل المسلم)، تفتح آفاقًا على كل مجالات الدين والحياة، وقطع المجلة ١٧ × ٢٤ سم، توجه إلى الأطفال.

وتعتمد هذه المجلة على الصور أكثر من الرسم، وتخلو من التسالي، إلا أنها تحتوي على مسابقة شهرية في أغلب الأحيان تتعلق بالشهر الذي يصدر فيه العدد، وتتضمن جوائزها لعشرة فائزين، كما أن هناك مسابقة للألوان، ليس للمجلة ملاحق، وتنشر صورًا للأطفال مقرونة بأسماء المدارس، تخلو المجلة من الإعلانات، وليس هناك إشارة إلى مواد العدد على الغلاف، وقد عملت وزارة الأوقاف ممثلة في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على استقلالها منفردة عن المجلة الأم (منبر الإسلام)، وتغيير شعارها من (مجلة الطفل المسلم) إلى (مجلة كل الأطفال).

مجلة (نور)، وتكريم الفائزين من خلال المشروع الوطني للقراءة

مجلة (نور) هي مجلة للأطفال تصدر عن المنظمة العالمية لخريجي الأزهر الشريف، وقد احتفلت مؤخرًا بفوز الطلاب المشاركين بالمسابقات الخاصة بها، والتي أعلنت عنها من قبل ضمن المشروع الوطني للقراءة، باعتباره مشروعًا ثقافيًا نموذجيًا مستدامًا لعام ٢٠٣٠.

وقد تم تكريم المراكز الثلاثة الأولى بمسابقة القراءة، بعنوان: (أجمل ما قرأت)، والتي تقدم من خلالها الأطفال بعمل ملخصات لأفضل كتب قرأها الأطفال، موضحًا فيها موضوع الكتب، وأهم ما تمت الاستفادة منه، وقد

عُرِضت الملخصات على لجنة متخصصة من كبار الكتَّاب؛ لتحديد أفضل ثلاث ملخصات، وقامت بتكريم هؤلاء الفائزين الثلاثة.

كما تم تكريم الفائزين المشاركين بمسابقة الرسم عن موضوعات فنية، تحت عنوان: (مصر الحديثة بعيون أولادها)، التي من خلالها عبَّر الأطفال المشاركون عن مشروعات مصر الحديثة العملاقة، مثل: شبكات الطرق، والمزارع السمكية، واستزراع المليون فدان، وقناة السويس الجديدة، وتجميل وسط القاهرة، وقد أفرزت الأعمال المقدَّمة عن طرق لجنة فنية متخصصة، وتم تعيين المراكز الثلاثة الفائزة في هذا المجال، وتم تكريمهم أيضًا.

ويأتي هذا الاهتمام من جانب القائمين على هذه المجلة وتلك المسابقة المتميزة، في إطار الاهتمام بمواهب الأطفال الرائعة والمميزة، ودعمهم واحتضانهم، وتحفيزهم وتشجيعهم للاستمرار في تنميتها وممارستها من خلال تلك الأنشطة والمسابقات، بما يؤهلهم كي يصبحوا قادة رأي ومبدعين في المستقبل، ويعملوا على نشر قيم التسامح والأخلاق وعدم العنصرية والتفرقة بين أفراد الوطن الواحد.

وقد أوضح المسئولون والقائمون على تحرير مجلة (نور) والمسابقات، إلى أن الأمل في هؤلاء النبتة المتميزة من الأطفال الذين يحرصون على ممارسة مواهبهم المميزة، والتي تثبت للجميع أن بلادنا مليئة بالطاقات الإيجابية والفنية المبدعة، وكل ما تحتاجه هو الإيمان بها ودعمها وتشجيعها.

كما أن هذه المسابقات والفعاليات تأتي ضمن المشروع الوطني للقراءة، الذي بدأ في عامه الأول في مارس ٢٠٢٠؛ بهدف تنمية الوعي بأهمية القراءة،

وتمكين الأجيال من مفاتيح الابتكار، ودعم قيمهم الوطنية والإنسانية، كما يسهم المشروع في تصدر شبابنا وأطفالنا ثقافيًا من خلال إثراء البيئة.

أنشطة الحديقة الثقافية للطفل بالسيدة زينب

أقيمت شراكة بين وزارتي: الثقافة، والأوقاف في تقديم عدد من المشاريع التي أثرت ولمست وتر المجتمع، مثل: مشروع (سلسلة رؤية للنشء للأطفال)، بالتعاون بين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والهيئة المصرية العامة للكتاب، و(صالون في محبة الوطن) بين المركز القومي لثقافة الطفل والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والتربية والتعليم، ومشاركة عدد من الكتاب المهتمين بالكتابة لمجلة (الفردوس) التي تطورت كثيرًا من حيث الشكل والمضمون، وصارت من المجلات التي تنافس شهريًا ويأمل المتابعون للشأن الثقافي المصري أن تكون نصف شهرية أو أسبوعية، كما يأملون أن تصدر وزارة الأوقاف كتابًا أسبوعيًا للطفل.

كما يقوم المركز القومي لثقافة الطفل من خلال الموقع الإداري له بتقديم خدمات ثقافية وبحثية للطفل، بعد أن تم استخدام المكان منذ عامين لتقديم نشاط ثقافي وفني وعمل معارض للفنون التشكيلية في صالة المركز في قاعة عرض تُسمى (بيكار).

وللمركز موقعان يقدمان الخدمات في الجيزة والسيدة زينب بعد استخدام الحديقة بمدينة الفنون بشارع الهرم، وقاعة المركز القومي للسينما، ومن أهم الأنشطة التي تقدم لتلاميذ المدارس – في الهرم والدقي والعمرانية والجيزة والعجوزة وإمبابة والوراق وغيرها– حفلات توقيع الكتب، وصالون ابن الهيثم

العلمي، وصالون ثقافة الطفل، والندوات المتخصصة، والورش الفنية، وورش الكتابة، ومشروع الحرفي الصغير، وورش الخط العربي، والساحر والأراجوز والعرائس والموسيقى، فضلًا عن الأبحاث والنشر.

وتقدم الحديقة الثقافية الموقع الثاني للمركز بمحافظة القاهرة الأنشطة الفنية والثقافية كافة في عدد من البرامج، مثل (برنامج جمعة وسبت إجازة)، وجميع الاحتفاليات والأنشطة المهمة؛ مثل أنشطة مسرح الطفل والأراجوز وكورال الأطفال والعرائس والساحر والفنون الشعبية والاستعراضية والمسرح الأسود، والورش الفنية المختلفة من التدوير والفخار والرسم والمجسمات الورقية، وورش الحكي وحفلات التوقيع ومعارض الكتب واللوحات، بالإضافة لمتحف مستنسخات فرعونية ومكتبتي: (كامل كيلاني، وعلاء حمروش)، وقسم ذوي الهمم الذي يقدم أنشطة فنية ومعارض فنية ومعرض وورش تنمية مهارات لهم، والاستفادة من قدراتهم من تقديم الأنشطة مقابل مكافآت رمزية، مثل: لاعبة التنورة (تقى محمد)، وأول لاعب أراجوز من ذوي الاحتياجات (إسلام محمد).

ومن الآليات الجديدة التي يطلقها المركز القومي لثقافة الطفل كي تتناسب مع العصر قناة المركز على اليوتيوب التي بدأ تفعيلها مع مبادرة (خليك في البيت، الثقافة بين إيديك) التي أطلقتها وزيرة القافة منذ مارس ٢٠٢٠، ووصلت لحوالي (٢ مليون) من الزوار، وزادت عدد المشاهدات (٤٨٠٠٠٠ مشاهدة)، وزادت عدد ساعات المشاهدة إلى (١٢٥٠٠) ساعة مشاهدة، وحوالي (١٣٠٠) فيديو، وعدد المشتركين (٦٦٦٨)، وعدد البرامج حوالي (٤٢) برنامجًا في قوائم التشغيل، وتحقق القناة تقدير B– وكانت قبل هذا

التاريخ لا تحقق شيئًا ذا بال، فقد كان عدد المشتركين قبل مارس ٢٠٢٠ حوالي (٥٧) مشتركًا والزوار (٤٥ ألفًا)، والمشاهدات (٦٧٠٠) وعدد الفيديوهات (١٤) فيديو، وعدد ساعات المشاهدة (١٠١) ساعة، وتلعب صفحات الفيس بوك دورًا مهمًا في توصيل الرسالة، ومنها صفحة إصدارات المركز القومي لثقافة الطفل، وتهتم بتقديم الإصدارات من كتب الأطفال والكتب البحثية والسلاسل المختلفة بصيغة (Pdf)، ويتابعها ما يقرب من (٥٠٠٠) طفل رغم إصدارها من وقت قريب، كما توجد الصفحة الرسمية للمركز القومي لثقافة الطفل على الفيس، وتهتم بتقديم أخبار المركز وأنشطته وفيديوهات فنية وتوعوية ويتابعها حوالي (٢٠ ألف) طفل، ويبدأ المركز في تطوير موقع المركز القومي لثقافة الطفل، وتغيير لغة البرمجة القديمة بأخرى جديدة كي تناسب الطفرة الرقمية الجديدة، وتتماشى مع مصر الرقمية الآن.

ومن الأنشطة التي تعتبر من أسس ثقافة الطفل نشاط النشر، والجدير بالذكر أن خطة النشر وعدد الكتب قد زادت في السنوات الأخيرة بما يتجاوز (٣٠٠%)، فقد كان جملة ما يقدم حوالي (١٥) كتابًا على الأكثر في العام، ويقدم المركز خطة سنوية لطباعة كتب الأبحاث والدراسات وأدب الطفل بمختلف أنواعه، بلغت هذا العام ما يقرب من (٤٥) كتابًا كأكبر خطة في تاريخ المركز، وستكون خطة هذ العام (٥٧) كتابًا؛ ليكون عدد الإصدارات هذا العام والعام السابق ما يزيد عن (٢٥%) من جملة إصدارات المركز طوال تاريخه منذ أربعين عامًا في مختلف التخصصات: من القصص، والشعر، وسلسلة المسرح، والرموز، ومجلد ثقافة الطفل، والكتب التوثيقية، والكتب

البحثية، وسلسلة من طفل لطفل، ويطبع من كل كتاب (٥٠٠) نسخة، ويتم تعويض النسخ الورقية بإتاحة الكتاب مجانًا للأطفال على صفحة إصدارات المركز بصيغة (Pdf)، وتحويل القصص إلى فيديوهات في برنامجين يعرضان على قناة المركز، وهما: (مائة حكاية وحكاية) للكتب الجديدة، و(حواديت مصرية) للكتب القديمة، كما يعرضان على صفحة الفيس بوك، وعلى بوابة الوزارة، وتعتبر الخطة السنوية للمسابقات الفنية والأدبية والعلمية من أنشطة ثقافة الطفل المهمة جدًا بالمركز، وتزيد تلك المسابقات عن (٢٥) مسابقة متنوعة للطفل، منها المصرية والعربية والدولية؛ وتقدم جوائز مالية وعينية وميداليات وشهادات تقدير، ومن تلك المسابقات ما هو عالمي في دورته ٣١، مثل: مسابقة (مصر في عيون أطفال العالم) التي يشارك فيها عدد كبير من الدول من مختلف أنحاء العالم، بلغت حوالي (٧٩) دولة، ومسابقات محلية مثل مسابقة (المخترع الصغير)، و(الطفل الموهوب) في القصة والشعر والرسم والمقال والإبداع والابتكار، و(اصنع كتابك الإلكتروني)، و(القدس)، و(حقوق الطفل)، و(آثار من بلدنا)، و(الموسيقار الصغير)، و(الإعلامي الصغير)، و(رحلة عبر العصور)، و(صحتنا)، وغيره.

والجدير بالذكر أن أطفال مصر فازوا العام السابق بعدة جوائز عالمية وعربية في الكتابة والرسم والموسيقى والابتكار، مثل:

جائزة (نادي القصة) بالصين، فاز بها الطفل عبد الرحمن محمد ماهر، بقصته (الجد عدنان)، وحصد المركز الأول عربيًا وإفريقيًا والثاني عالميًا ضمن

(٣٠) دولة، والجدير بالذكر أن المركز نشر تلك المسرحية ضمن سلسلة (من طفل لطفل) كإصدار أول للسلسلة.

جائزة (إيفاك) الدولية في الرسم للعام الرابع باليابان عام ٢٠٢٠ م وتقيمها المؤسسة الدولية للفنون والثقافة، فازت بها الفتاة سلمى إيهاب التي رسمت قصة عبد الرحمن (الجد عدنان)، وتم نشر الكتاب.

جائزة (فرحة طشقند)٢٠٢٠ م من دولة أوزبكستان، فازت بها الطفلة ملك سامح، وحصدت الميدالية الفضية، وفاز بها كذلك الطفل محمد مدحت، وحصد الميدالية البرونزية، كما منح (٩) أطفال شهادات تقدير.

جائزة (مهرجان الدار البيضاء العربي لفنون الطفل)، فاز بها المركز القومي لثقافة الطفل بجائزة التميز لكورال الحديقة الثقافية (سلام) عن الأغنية الوطنية للأطفال (انتباه)، وفازت بالجائزة التشجيعية في الغناء الطفلة لميس محمود، وفاز بجائزة الإبداع في الفنون التشكيلية الشاب الصغير مصطفي محمود.

- وتأتي القوافل الثقافية التي يطلقها المركز القومي لثقافة الطفل تحت مسمى قوافل (عيالنا) من الأنشطة المهمة التي يطلقها المركز للوصول بالخدمة الثقافية للأقاليم والمحافظات البعيدة والحدودية، وتم ذلك منذ سنوات، وهي قوافل ثقافية فنية لجميع محافظات مصر، في إطار مبادرة (حياة كريمة) بالتعاون مع قصور الثقافة، والتربية والتعليم، والشباب والرياضة، ويقدم المركز بهذه القوافل كل ما يقدمه في القاهرة، مثل الورش الفنية للأطفال، ومنها: الرسم والأورجامي، وورش مجسمات

بالورق، وورش تلوين الفخار، وعروض فنية كالساحر والأراجوز والمسرح الأسود والعرائس والتنورة، ومعرض لإصدارات المركز، ومن المحافظات التي وصلت إليها القوافل: البحيرة (وادي النطرون)، ومدينة العياط، والفيوم، والوادي الجديد (الداخلة والخارجة والفرافرة)، وبورسعيد، والدقهلية، وأسيوط، وبني سويف، والسويس، والغربية، ويسعى المركز لتقديم خطة إنتاج خلال هذا العام في مجالات الثقافة والفنون كافة في المسرح والكارتون والأغاني، وغيرها(١١).

خامسًا – عدة رؤى وقضايا مهمة تتعلق بأدب الطفل، ومنها ما يلي:

حملة رؤية جديدة للتعليم التي أطلقتها اليونسيف

تعمل هذه الحملة التي أطلقتها اليونسيف على إحداث ثورة في التعليم وتطوير المهارات؛ لتوفير تعليم جيد لكل طفل عبر التعلّم الرقمي، والربط بالإنترنت، وتوفير الأجهزة الرقمية، والبيانات الميسورة الكلفة وإشراك اليافعين، وتهدف إلى الوصول إلى (٥٠٠ مليون) طفل وشاب بحلول نهاية عام ٢٠٢١، وإلى (ثلاثة ونصف بلايين) طفل وشاب بحلول ٢٠٣٠، وتجرى هذه الحملة بالتعاون مع عشرات الشركاء من القطاع الخاص والحكومات، وهي تتضمن جميع المستلزمات، من: توفير الكتب المدرسية إلى المواقع النائية، ودعم البث الإذاعي التعليمي، والوصول إلى الأطفال بالتعليم أينما كانوا يعيشون، بما في ذلك عبر الرسائل النصية القصيرة، والمجموعات على تطبيق (واتس آب)، والبث الصوتي عبر الإنترنت (بودكاست).

وقد اعدت اليونيسف (مجموعة أدوات التعلّم الرقمي العالمية) التي توسّع إمكانية الحصول على المهارات الرقمية والمهنية الأساسية والقابلة للنقل، وذلك في المناطق التي يصعب الوصول إليها، وللفئات الأشد ضعفًا. فعلى سبيل المثال عملت المنظمة مع شركة (مايكروسوفت) على إعداد (جواز سفر التعلّم)، وهو منصة توفّر إمكانية الحصول على المناهج المدرسية بعدة لغات، عبر الإنترنت وفي الواقع الفعلي، حتى في أوضاع الأزمات، كما تعاونت مع منصة (أكاديمية خان) على تطوير المهارات الأساسية والرقمية والمتعلقة بالعلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات، ووفرت برنامجًا رقميًا للاجئين والمهاجرين يعمل على تعليم لغة المجتمع المحلي؛ بغية الربط مع فرص التعليم والعمل، كما عملت مع (مؤسسة عصر التعلّم)، لكي توفر خدمات مجانية للتأهب للمدارس وبرامج لإجادة القراءة والكتابة والحساب لأكثر من مائة وثمانين ألف طالب، كما عملت حاليًا مع شركاء حكوميين من القطاع الخاص في (مبادرة جيجا)؛ لتوسيع إمكانية الوصول إلى الإنترنت لكل طفل، وكل مجتمع محلي، وكل مدرسة بحلول عام ٢٠٣٠.

وفي هذا الإطار أطلقت مؤخرًا شراكة عالمية مع شركة إريكسون للمساعدة في وضع (خريطة لربط المدارس بالإنترنت) في (٣٥) بلدًا بحلول نهاية عام ٢٠٢٣. وهذه خطوة أولى حاسمة نحو توفير إمكانية الحصول على التعلّم الرقمي لكل طفل.

أطفالنا، والثقافة الرقمية

عندما تتعرض العلاقة بين أطفالنا والثقافة الرقمية لا ينبغي الاكتفاء بإلقاء اللوم على العولمة وثقافتها المنتشرة بصفة خاصة عبر الإنترنت والفضائيات، وتحميلها مسئولية ما يحدث في المجتمعات العربية وفي أوساط الأطفال والشباب العربي من غزو ثقافي نوعي مكثف؛ لأن الأمر يتطلب دراسة الظاهرة بصـــورة موضوعية، والبحث عن بدائل وقائية للتخفيف من حدة الظاهرة، وتحويل بعض مكوناته، وممارسة ثقافة النقد والتغيير والمراجعة(١٢).

ومن أهم واجباتنا تجاه أطفالنا أن ننمي التواصل بينهم وبين العالم الخارجي، ونتيح لهم فرص الانفتاح على الثقافات العالمية، وأن ندربهم على لغة الحوار والمشاركة، وتفهم الرأي الآخر، لكي ينشأوا مؤمنين بذواتهم، وقادرين على التكيف مع الأهداف الإنسانية المشتركة، ولعل الإنترنت هو أحد أفضل الوسائل لتحقيق هذه الأهداف، والوصول إليها.

ولا بد لنا في العالم العربي من التفكير في أوضاع أطفالنا، واستخدامهم للتكنولوجيا الرقمية، والتصدي لما قد يحمله استخدام الطفل للتكنولوجيا من مخاطر، والاستفادة من إيجابيات التكنولوجيا الرقمية، ويمكن أن يكون ذلك من خلال تبني الدول العربية للسياسات والتشريعات والقوانين التي تحمي الطفل على شبكة الإنترنت، فقد آن الأوان لصياغة قانون يحمي الطفل، وخصوصيته، وعقاب كل من يحاول استغلال الطفل أو يؤذيه، والإفادة في ذلك من القوانين المماثلة في دول العالم، وعلى الحكومات إلزام مزودي الإنترنت بإتاحة برمجيات لحماية الطفل من المواقع الضارة والمؤذية، وهي العملية التي يُطلق

عليها (فلترة المواقع)، ومن الناحية الأخرى على الدول العربية العمل على إتاحة التكنولوجيا الرقمية بصورة أكبر، وبأسعار في متناول جميع الأفراد من مختلف الشرائح الاقتصادية والاجتماعية دون تمييز.

كما أنه يجب توعية الآباء والأمهات بمخاطر شبكة الإنترنت المتنوعة، وكيفية تعويد أطفالهم على التعامل مع شبكة الإنترنت بصورة آمنة، وألا يتعامل الأطفال مع الغرباء على الإنترنت، ويمكن أيضًا أن يكون تعامل الأطفال خاصة في المراحل الصغرى بإشراف ومتابعة الوالدين، وتعويد الطفل على النقاش حول ما يجده من موضوعات في شبكة الإنترنت، وكيفية التعامل معها، وعلينا تعويد الطفل على الموازنة بين الجلوس على الإنترنت، وبين الأنشطة المختلفة، وتشجيعه على القراءة والمطالعة، وممارسة هواياته الأدبية والفنية والرياضية، وتشجيعه على الاندماج والتفاعل الاجتماعي المطلوب، وتكوين علاقات اجتماعية جيدة، فضلًا عن مرافقته في النزهات والرحلات وزيارة المعارض، وبعض النشاطات الأخرى(١٣).

أدب الطفل، وتهميش أطفال الصعيد

يواجه أطفال محافظات الصعيد، وبصفة خاصة الصعيد الجواني، سوهاج وقنا وأسوان، تحدياتٍ كبيرة في ممارسة وأداء الأنشطة الثقافية والأدبية المختلفة؛ وذلك نتيجة لنقص الخدمات والأدوات المقدمة إليهم في ذلك المجال، سواء في قصور الهيئة العامة لقصور الثقافة أو في مراكز الشباب، كما أن هناك أماكن أخرى عديدة لديها نقص وقصور واضح في محتوى الخدمة التي تقدم إلى الطفل.

ومن اللافت للنظر أن معظم الكتاب والأدباء لا يعيرون مجال أدب الطفل اهتمامًا كبيرًا، مثل بقية الأجناس الأدبية الأخرى، باعتباره غير جاذب، وصعب بالنسبة لهم، فمعظم اهتمامهم يتجه إلى الشعر، وخاصة في السنوات الأخيرة إلى فن الواو والمربع، حيث نشأة هذ الفن القولي الشفاهي في مدن محافظة قنا، ويزداد انتشاره في مدينة قوص تحديدًا، ومدينة نقادة، ومدينة فقط، ومدينة نجع حمادي، بينما نلاحظ أن مجال أدب الطفل قل من يتجه إليه أو يكتب فيه.

فالطفل الصعيدي يعاني من تهميشه سواء من الجهات المسئولة والمعنية والمختصة بثقافته، أو حتى من طائفة الأدباء الذين يحيطون به، مما يجعل الطفل محرومًا، ولا يتربى ثقافيًّا على ذلك المجال، فضلًا عن عدم اهتمام قصور الثقافة والمدارس والمكتبات العامة المنتشرة في هذه الأماكن، على توفير الكتب والمجلات، وكافة الأدوات والأنشطة المختلفة التي تختص بمجال أدب وثقافة الطفل، كما أن تربية الآباء والأمهات تكاد لا تحتوي وتخلو من أي نوع يتصل بنهج ومجال أدب الطفل، فالتربية الثقافية لدى الآباء والأمهات مع أطفالهم في منازلهم ليست بالقدر الكافي، فلا يوجد تشجيع أو تحفيز منهم على ذلك النوع من الأدب؛ نظرًا لافتقار ثقافتهم ودرايتهم الكافية واللازمة بهذا اللون من ألوان الأدب، ومن ثَمَّ نجد أن تربية الطفل في تلك المناطق تقتصر على أنشطة تقليدية معينة.

ورغم اهتمام بعض الأدباء في السنوات الأخيرة بمجال أدب الطفل في مصر وعدد من الدول العربية، إلا أنه يظل لا يفي بالغرض المنشود، ولا يحقق

الغاية المرجوة لأطفالنا كما هو في بعض الدول الأجنبية التي تعطي أكبر اهتمامها لأطفالها، باعتبارهم أمل الغد ورجال المستقبل.

لذا فإننا نرجو ونناشد وزارتي: الثقافة، والتعليم، وأيضًا المجتمع المدني والأدباء والأمهات، على نشر أدب وثقافة الطفل، وتوفير الوسائل والأدوات الحديثة المختلفة لنشر أدب الطفل، والتي من شأنها أن تساهم في تنمية وتطوير عقلية الطفل أدبيًّا وثقافيًّا وفكريًّا واجتماعيًّا.

في الماضي كانت قصص الأساطير تحكيها الجدات والأمهات للأطفال، وذلك من أجل تقوية شخصية الطفل، وغرس القيم والعادات والتقاليد فيه، ولكن منذ سنوات قلائل مع التطور التكنولوجي والتقنية والانفتاح، وعمل الأمهات اللواتي لم يتفرغن لسرد بعض القصص لأطفالهن وتثقيفهم في هذا المجال، وإكسابهم الوعي بأحوال مجتمعهم، وبتجاربهم الشخصية وغيرها.

إنني أرى أن هذا اللون من الأدب في صعيد مصر حاليًا، قد تلاشى عما كنا نجده في السنوات الماضية؛ بسبب الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة، وخاصة الموبايل والهواتف الذكية والبرامج المستخدمة عليه، والتي بدورها خلقت نوعًا من العزلة بين الطفل ووالديه وجداته؛ فهو أصبح يمكث عليه بالساعات الطويلة؛ وبالتالي لا يتوفر لديه وقت كاف، كي يتم ويحدث بينهم نوع من المناقشة أو تجاذب أطراف الحديث بين أفراد أسرته، مما يُحدِث ذلك بلا شك تباعدًا اجتماعيًّا، وهذا له تأثير كبير في نفوس الأبناء، وفي سرد قصص الأطفال التي تغرس في نفوسهم القيم النبيلة.

وتلك الأوضاع جعلت الطفل يلهث وراء الأفلام ومقاطع الفيديو وأغاني المهرجانات على (التيك توك) و(اليوتيوب) و(الفيس بوك)، وعدد آخر من الوسائل الحديثة المختلفة التي انتشرت في هذا العصر الحديث؛ مما يؤثر على تربيتهم فيما يتصل بالآداب والقيم الاجتماعية والإنسانية الرفيعة، وجعلها تتلاشى؛ لأن مثل تلك الوسائل لا تقدم قيمًا دينية وتربوية أو مجتمعية، كما أن الأسرة أيضًا لا تقدم قيمة لعدم توافر الوقت، وأسباب تربوية أخرى يضيق المجال لذكرها.

ومن هنا نجد أن أدب الأطفال قد تلاشى في تلك البيئات خلال السنوات الأخيرة، وكذلك تلاشت معه القيمة إلى حد ما مع تلك الأجيال من الأطفال.

ومن الضروري لكي ينشأ في مجتمعنا طفل مثقف متزن، وذو شخصية قوية ومؤثرة في المجتمع بشكل جيد، وبما يتماشى مع التقاليد والثقافة المجتمعية الأصيلة، فلا بد من قيام كل من الأسرة والمدرسة وكافة الهيئات والمؤسسات الثقافية المختلفة والمكتبات العامة، والمجتمع المدني، بأداء واجبها المنوط بها في نشر هذا الأدب نحو تثقيف وتنمية الطفل، والاهتمام به كل الاهتمام.

الرؤية المستقبلية لأدب الطفل العربي

مع عصر العولمة الذي تسوده ملامح ثقافة عالمية تسعى إلى بث أفكار ومفاهيم وقيم سلبية، فإننا نسعى إلى مواجهة ذلك بالإصرار على اتباع خطوات المواجهة المناسبة لتحديات عصر العولمة في مجال أدب الطفل بوجهٍ

عام، وقصص وشعر وأناشيد ومجلات أطفال بوجهٍ خاص، ومن أجل تحقيق الوجود المؤثر لأدب الطفولة في العالم العربي نحن بحاجة لأن نضع تصورًا مناسبًا لمكانة أدب الطفل العربي تتفق عليه الدول العربية مجتمعة؛ للدفع به إلى العالمية، ويأتي الاعتراف بأهمية هذا الأدب في تنشئة الطفل وتثقيفه كخطوة أولى، يليها تشكيل لجان لتقييم الإصدارات السنوية على مستويين: المحلي، والقومي، وتخصيص جوائز دورية ثابتة له. وعلى الرغم من كل هذه العوامل الجوهرية التي تعوق مسيرة الطفل العربي الأدبية، فإن هذا الأدب أثبت وجوده، وسعى جادًا نحو التطور، إذْ نستطيع القول إننا نعيش بداية نهضة ملموسة لأدب الطفل العربي، فالمتتبع لكتب الأطفال العربية عمومًا في الآونة الأخيرة، وخاصة تلك الصادرة خلال العقد السابق، يلاحظ طفرة نوعية وكمية في تلك الكتب جاءت نتيجة تغيراتٍ كثيرة في مجتمعاتنا، أهمها الاهتمام بالطفولة وإنشاء مؤسسات وبرامج لرعايتها، كما أن تطور تقنيات النشر وظهور دُور نشر متخصصة في كتب الأطفال ومجلاتهم ساعد على إصدار كتب تضاهي الكتب العالمية في مضمونها وشكلها وطريقة إخراجها، وعلى مستوى الأدب نفسه فإن أهم العوامل الفنية التي أدت إلى الارتقاء بأدب الطفل، مثل: نظرته لما حوله، مخاوفه وحاجاته الأساسية، كما أن مراعاة الكتاب للمراحل العمرية المختلفة ساعد في مخاطبة شرائح مختلفة من الأطفال، فالطفولة عبارة عن مجموعة من المراحل السابقة واللاحقة لها، فما يُكتَب لطفل الخامسة مثلًا يختلف عما يُكتَب لطفل الثامنة من حيث مستوى اللغة والموضوع، وطرق العرض وشكل وحجم الكتاب[١٤].

إن أدب الطفل العربي ما زال في مرحلة النمو، وهو يحتاج إلى حماسة وجهود الجميع: كتاب، وشعراء، ورسامين وإعلاميين، وناشرين، وباحثين... إلخ، وما زال الإنتاج المقدَّم للطفل ضعيفًا جدًا كمًا ونوعًا، وإن كان هناك بعض الجهود المتميزة ولكن تظل قليلة إذا ما قارناها بالحاجة والفقر الشديد في هذا المجال، وكلنا يأمل ويتطلع إلى النهوض بأدب الطفل والارتقاء به، خاصة أن هويتنا العربية والإسلامية تتعرض لمواجهات وحملات عنيفة أشد من العصور الماضية.

إن أدب الطفل مهمة تقع على عاتق المسئولين من الكتاب والأدباء؛ لأن له قيمة تتفوق على آداب الفئات الاجتماعية الأخرى، باعتبار أن الأطفال هم السواعد التي يقوم عليها المجتمع، وأدب الطفل يجب أن يرقى إلى مستوى العصر، ويدخل عصر المعلوماتية والعولمة والإنترنت والفضائيات، محصنًا بالرؤية الإسلامية في معالجة الأمور، فالفضائيات هي الوسيلة المثلى لنشر أدب الأطفال.

وسيستمر التراث العربي في عطائه المتواصل والمتجدد، رغم رياح التغريب التي تهب على المنطقة العربية، وسيظل الأبناء في بؤرة اهتمام المجتمع العربي والإسلامي؛ لأنهم نصف الحاضر وكل المستقبل، وستبقى الطفولة في كل الأزمنة والأمكنة هي القبلة الاجتماعية الأولى التي تتجه إليها كل الجهود التنموية، حيث ستقاس حضارات الأمم على أساس ما تخصصه للأطفال من وسائل التعليم والتثقيف، والأمة التي تتخلف عن هذا المضمار ستصل إلى الشيخوخة مبكرًا، ولن تجد من يقوم على أمورها وشئونها مستقبلًا.

ونحن العرب في حاجة إلى مراجعة مناهج وأساليب الكتابة للأطفال بصورة تؤدي إلى تنمية التفكير النقدي لديهم، والقدرة على الإبداع والتفكير، وتطور قيم المشاركة والتسامح، والحوار مع الآخر، وكيفية التعامل الإيجابي مع التكنولوجيا الحديثة، وتوظيفها في اكتساب المعارف والعلوم، وفي التواصل مع الآخر.

وفي ضوء ما يتعرض له الطفل العربي من تيارات فكرية وثقافية تكاد تطمس معالم شخصيته، فإننا بحاجة إلى أدب ذي مواصفات خاصة، تجعله قادرًا على تمكين الطفل العربي من مواجهة كل هذه التيارات الوافدة، وتأكيد ذاتيته العربية الإسلامية، وتدعيمه بالآليات المناسبة التي يستطيع بها التصدي لكل هذه التحديات.

ومن أهم التوصيات والمقترحات لأدب الطفل العربي ما يأتي:

- تنمية الاعتزاز بما لدى الطفل العربي في مجتمعه من إمكانات، وإن صغر حجمها.
- تنمية الاعتزاز القومي عند الطفل العربي، والإحساس بأن ما لدى ثقافته لا يقل أهمية وقدرًا عما لدى الآخرين.
- تحصين الطفل العربي ثقافيًا في مواجهة المحاولات المستمرة لطمس معالم الثقافة العربية الإسلامية، والغض من شأنها.
- تأكيد القيم الأخلاقية الإيجابية التي دارت حولها بعض قصص الأطفال، خاصة ما يتصل بحرية الإنسان وحقوقه، واحترام الثقافات الأخرى.

- تأكيد قيمة العمل الجماعي، وتنمية الإحساس بالفريق، وتقدير العمل معه، في مقابل الإحساس الفردي المطلق.
- الاهتمام بكتاب الطفل، ونشره وتوزيعه على أوسع نطاق؛ لأنه أساس أدب الأطفال.
- التخلص عند تأليف كتب الأطفال من أنماط التفكير المعوقة للإبداع في ثقافتنا(١٥).
- لابد من وضع استراتيجية ثقافية عربية علمية متطورة، تعمل بوسائل وتقنيات تواكب التطورات الحديثة، وتستثمر تكنولوجيا العلم الحديث لتحصين (الهوية الثقافية)، وتقف بمواجهة ما أطلق عليه (العولمة الثقافية) أو (الاختراق الثقافي) وأساليبه القديمة والحديثة؛ لكي لا يتمادى في تأثيراته وأخطاره، وعلى أقل تقدير، تحجمه في مكامنه. ولا يحصل هذا الأمر دون الانتباه إلى أهمية الخصوصية، ودورها الفاعل في (ثقافة الأطفال)، والاهتمام بأساليب الكتابة للطفل، ومفاهيم الخطاب الثقافي الموجه له، وجعله مؤثرًا وفاعلًا، ولا يقل أهمية عن غيره من (الخطابات) الأجنبية، وخلق قاعدة علمية عربية لثقافة الأطفال، تلبي حاجات الطفل، وتشبع نوازعه الغرائزية، وتنمي مدركاته وخياله، وتجعله ميالًا لثقافته الخاصة أكثر من ميله للثقافات الأخرى، ووسائلها وقنواتها المغرية(١٦).
- تقديم الأفكار والموضوعات التي تتضمن القيم الإنسانية والأخلاقية الرفيعة، كالصدق والأمانة والوفاء، والعمل، والتعاون والاحترام، وغيرها، ومحاولة الاستفادة من كنوز التراث العربي الخالد، وتقديمه إلى أطفالنا

في ثوب قشيب وأسلوب رائع فريد، بلغة عربية فصيحة تناسب المراحل العمرية، كل مرحلة على حدة.

- تعريف الأطفال برموز الثقافة العربية وأعلامها، وروادها البارزين في كافة المجالات العلمية والثقافية والفنية، والتعريف بمنجزاتهم وإبداعاتهم ومؤلفاتهم القيمة الفريدة.

وأختتم هذا البحث بما دعا إليه الأستاذ القدير أحمد عبد العليم، الباحث بالمركز القومي لثقافة الطفل[١٧] حيث قال: "أمامنا – إذن – واقع ثقافي مليء بعوامل إيجابية، وأخرى سلبية، ولدينا كثير من الإنجازات التي تحققت، يمكن لها أن تصبح نقطة البدء لمشروع ثقافي عام، ونمتلك الطموحات التي تسعى إلى تحقيقها، وما ينقصنا هو رؤية شاملة للخريطة الثقافية، ونظرة عامة فاعلة ومستوعبة للمستقبل، وإدراك عميق أكيد وجديد لأدب الطفل وثقافته وفق مفاهيم عامة ورئيسة، وفق محددات أساسية، وأطر وأنماط شمولية وموضوعية".

وعليه يمكننا أن نحدد ما الذي يجب أن نقوم به من أداءات إزاء أطفالنا، وما ينبغي أن نقدم لهم؛ لنتجاوز بها وبهم هذا الواقع نحو مستقبل يكاد يمسك بتلابيبنا، ونسعى لامتلاك ناصيته ونحن على ثقة بأن قدراتنا وإمكاناتنا، إذا خلصت النوايا، يمكنها أن تصوغ هذه الطموحات والتطلعات حقائق فعلية، وإنجازات واقعية ملموسة.

هوامش الدراسة:

١. شيرين علي: مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٦٨٥)، رمضان ١٤٤٣هـ/ إبريل- مايو، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ٢٠٢٢م، ص ٧٨.

٢. جميلة محمد المحمد: أدب الأطفال الإسلامي: أهدافه، وخصائصه، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٦٢٧) ذو القعدة ١٤٣٨هـ/ يوليو - أغسطس ٢٠١٧م، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ص ٦٨.

٣. د. علي الحديدي: في أدب الأطفال، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط٧. ١٩٩٦م، ص ١٠١، ١٠٠.

٤. جميلة محمد المحمد: أدب الأطفال في العالم العربي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٦٥٦)، ربيع الآخر ١٤٤١هـ / ديسمبر ٢٠١٩م، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ص ٧١.

٥. أحمد سويلم: إطلالة على عالم القراءة، سلسلة (اقرأ) العدد ٧٧٣، القاهرة: دار المعارف، ط١. ص٢٣، ٢٤.

٦. نجلاء علام: مجلات الأطفال .. قراءة تحليلية، مجلة الثقافة الجديدة، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، إبريل ٢٠١٣، العدد (٢٧١)، ص ٢٣.

٧. د. أحمد عبد التواب عوض: أدب الأطفال .. فوائده وأشكاله ومنطلقاته، مجلة العربي الكويتية، العدد (٦٦٥)، جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ/ إبريل ٢٠١٤م، الكويت، ص ٣٠.

٨. يعقوب الشاروني: تنمية عادة القراءة عند الأطفال، سلسلة (اقرأ) رقم ٤٨٣، القاهرة: دار المعارف، ط٥. سبتمبر ٢٠١٨م، ص ٨٨.
٩. عبد التواب يوسف: مستقبل ثقافة الطفل العربي، الظهران: مجلة القافلة، المحرم ١٤١٤هـ / يونيو- يوليو ١٩٩٣م، ص ١٦.
١٠. يعقوب الشاروني: قصص وروايات الأطفال فن وثقافة، اقرأ، القاهرة: دار المعارف، العدد (٧٦٨)، ٢٠١٤، ص ٢٢، ٢٣.
١١. محمد ناصف: مجلة منبر الإسلام، القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد (٢)، صفر ١٤٤٣هـ / سبتمبر ٢٠٢١م، ص ٢٢-٢٤.
١٢. عبد الرازق الداوي: في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات: حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣، ص ١٧٢.
١٣. د. خالد صلاح حنفي: أطفالنا في عصر الثقافة الرقمية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٦٥١)، ذو القعدة ١٤٤٠هـ / يوليو ٢٠١٩م، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ص ٧٨.
١٤. فاطمة فؤاد أحمد: أدب الأطفال وتربية النشء إبداعيًا، أدب الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، المؤتمر الثالث، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٨م، ص ٢٠٢، ٢٠٣.
١٥. د. محمد محمود العطار: مقال بعنوان: (نحو رؤية مستقبلية لأدب الطفل العربي)، مجلة الأدب الإسلامي، الرياض: رابطة الأدب الإسلامي العالمية ،العدد (٨٧)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ٧٣، ٧٤.

١٦. د. خالد صلاح حنفي: تنمية ثقافة الطفل العربي ومواجهة الغزو الثقافي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٦٣٩)، ذو القعدة ١٤٣٩هـ / يوليو ٢٠١٨م، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ص ٧٥.

١٧. أحمد عبد العليم: لماذا نكتب للأطفال، أدب الطفل ورؤية مصر ٢٠٣٠، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٢١، ص٣٥٤، ٣٥٥.